أدب الأطفال اللّبنانيّ وشرعة حقوق الطفل: بين التمثّل والتستّر.

شهد أدب الأطفال في لبنان، منذ أوائل التسعينيّات، حراكًا مجديًّا تمثّل في نشوء دور نشر جديدة (دار أصالة- دار قنبز- دار الخيّاط الصغير- دار البنان- دار الآداب للصغار....) وفي تطرّق الكتّاب إلى موضوعات عديدة كان مسكوتًا عنها، ما كانت هذه الظواهر لتبرز؛ لولا مجموعة من الإرهاصات السياسيّة والمجتمعيّة والقانونيّة والثقافيّة من بينها توقيع لبنان شرعة حقوق الطفل في 26 كانون الثاني1990.

في هذا السياق، وفي ظلّ تقرير اليونيسيف السنوي في 14 حزيران 2018 عن أنّ 57 بالمئة من الأطفال الذين يعيشون في لبنان، بين عمر سنة و14 سنة، هم ضحايا "تأديب عنيف"، رأينا أن نطرح سؤالًا أساسًا: إلى أيّ مدى تمثّل كتّاب الأطفال اللّبنانيّون مبادىء شرعة حقوق الطفل ومندرجاتها؟

إن رجعنا إلى موضوع البحث، نقف مباشرة على أنّه يطرح إشكاليّة الموضوعات التي قد يعالجها أدب الأطفال من جهة، وإشكاليّة القيم المبتغاة(الغائيّة) من جهة أخرى: إشكاليّتان مرتبطتان، في نظرنا، بمسألة التصوّرات الاجتماعيّة، على قاعدة أنّها مسألة بنيويّة في حقول العلوم الإنسانيّة كلّها.

لذا كانت مقاربتنا أدبيّة سيميولوجيّة ثلاثيّة الأبعاد: تبحث في النتاج بذاته أوّلًا، وفي ظروف إنتاجه ثانيًا، وأخيرًا في ظروف تلقّيه. لكنّها تلّم بمسائل قانونيّة وسياسيّة واجتماعيّة وثقافيّة عبر مقابلات مع الكتّاب، على قاعدة أنّ التشريع القانونيّ- على أهميّته- غير كافٍ لتشكيل وعيٍ مجتمعيّ ينسحب على المؤسّسة العائليّة والتربويّة والإعلاميّة وغيرها من المؤسّسات المعنيّة بالطفولة.

لجلاء المسألة، طرحنا فرضيّات ثلاث:

- الفرضيّة الأولى: ثمّة تستّر على انتهاكات حقوق الطفل لأسباب اجتماعيّة وثقافيّة في مجتمع بطريركيّ ذكوريّ.
- الفرضيّة الثانية: لم يتمثّل بعد عدد كبير من الكتّاب حقوق الطفل، لقصور في الوعي السياسيّ والحقوقي ولأسباب اقتصاديّة مرتبطة بسوق الكتاب (النشر).
- الفرضيّة الثالثة: ثمّة تطفّل على ميدان الكتابة للأطفال الصعب والمعقّد، على قاعدة ظنّ خاطىء أنّ الجميع بوسعه الكتابة لهم.

وعليه، عمدنا في متن البحث إلى توثيق النتاج الذي عالج حقوق الطفل، وأخضعناه للتحليل وفق المقاربة السيميولوجيّة. وقد تبيّن لنا أنّ قلّة من الكتّاب اللّبانيّين تمثّل شرعة حقوق الطفل وساهم في نشر مندرجاتها في

نتاجه، وأنّ آخرين تستّروا لأسباب اجتماعيّة وثقافيّة في مجتمع بطريركيّ ذكوريّ. وثمّة آخرون - رغم حسن النوايا- لم يبلغوا النضوج الفنّيّ ليشرعوا في كتابة صعبة ومعقّدة للأطفال.

أخيرًا، وبالرغم من تسليمنا بأنّ أدب الاطفال يعيد إنتاج المنظومة الاجتماعيّة-الثقافيّة السائدة، إلّا أنّه بالمقابل، ممارسة أدبيّة فنّيّة بامتياز، يتنكّبها مبدعون مجدّدون يفتحون آفاقًا تتخطّى السائد المكرور. ومغامرتهم هذه، تفترض شروطًا موضوعيّة لم تنضج بعد، وإن شهدنا بعض ملامح حراكها. لكنّ هذه المغامرة تقع بين مطرقة مجتمع ذكوريّ تقليديّ، وسندان دور نشر تهجس بالمداخيل الإضافيّة.